مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 16 العدد 02 بتاريخ 2020/06/15

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

المرأة والدين في المجتمع القبلي بالجزائر

دراسة أنتروبولوجية للولية لالة صفية بمنطقة "صفيصيفة" – النعامة

Women and religion in tribal society in Algeria

Anthropological study of Saint Lalla Safia in the region of Sefsifah-AnNaamah

د.معازيز عبد القادر

جامعة تلمسان

Maziz Abdelkader
University of Tlemcen – Algeria
abdelkadermaziz5@gmail.com

د.الكبار عبد العزيز[1]

جامعة تلمسان

El kebar Abdelaziz
University of Tlemcen – Algeria
elkebar_abdelaziz@yahoo.fr

تاريخ الارسال: 2020/02/04 تاريخ القبول: 2020/03/05

ملخص:

يرتبط موضوع المرأة والتدين بالحقل الديني الذي يشمل الظواهر الدينية والطقوس والمعتقدات والعبادات والأساطير والسحر والخرافات... فقد أعطت كثير من المجتمعات العربية والإسلامية حق الامتياز للرجل في الولاية والصلاح، ويعود ذلك إلى طبيعة وخصوصية ثقافة هذه المجتمعات التي تقوم على تكريس وتثبيت النظام الأبوي، الذي لازال يحتكر السلطة الرمزية رغم بعض تنازلاته عن السلطة المادية والاجتماعية والسياسية في المرحلة الراهنة، ولكن الدراسات التاريخية والاجتماعية والأنتروبولوجية كشفت أن للمرأة أيضا حضورها القوي في مجال التدين والولاية والصلاح. وتعتبر لالة صفية بنت سيدي سليمان البوبكري الصديقي من بين أبرز نساء "صفيصيفة"، والتي عرفت بتدينها ونزوعها

[1]- المؤلف المرسل: د. الكبار عبد العزيز، elkebar_abdelaziz@yahoo.fr

الصوفي بالمنطقة . يحاول هذا المقال الكشف عن مصادر النزوع الديني الصوفي لهذه الولية والمتمثلة في طبيعة الفضاء الديني والثقافي الاجتماعي لقبيلة البوبكرية ، والمحيط العائلي الذي تشكلت فيه شخصيتها.

الكلمات المفتاحية : الولي – التدين – التصوف – القبيلة – المكانة الرمزية – التنشئة الاجتماعية– الطقوس.

Summary:

The theme "woman and religiosity" is linked to the religious field, which includes religious phenomena, rituals, beliefs, worship, myths, magic ... many Arab and Islamic societies have given the privilege of righteousness to men which is determined by the cultural specificity of these societies which are based on the consecration and consolidation of patriarchy, The one who still monopolizes symbolic power today despite some of its concessions of material, social and political power, but studies historical, social and anthropological have revealed that women also have a strong presence in the field of religiosity and righteousness. Lalla Safia bint Sidi Suleiman Al-Bubakri Al-Siddiqi is considered one of the most famous women of Susaifa, known for her religious and Sufi tendencies in the region.

This article attempts to reveal the sources of the Sufi religious tendency of this saint, which come back to the nature of the religious and cultural social space of the Boubekri tribe, and the family environment in which her personality was formed.

Keywords: saint - religiosity - Sufism - tribe - symbolic status - socialization - rituals.

مقدمة:

تعتبر منطقة الجنوب الغربي الجزائري، وشمال إفريقيا عموما جغرافية قدسية تنتشر بها أعداد كبيرة من القباب والمزارات والأضرحة التي ترتبط بأسماء شخصيات دينية تميزت بالصلاح والتدين، واحتلت مكانة اجتماعية ودينية ورمزية في المخيال الفردي والجماعي لسكانها (إرنست غيلنر،2005، ص 251) وإذا كانت الدراسات الأنتروبولوجية قد تحدثت عن الولاية والأولياء والتصوف بصيغة المذكر، وتطرقت بشكل مقتضب إلى المكانة والوظيفة الدينيتين عند العنصر النسائي، وبخاصة عن الولاية النسوية لأسباب ثقافية

كرست الهيمنة الذكورية منذ زمن بعيد، وانشغلت كثيرا بقضايا الذكور وسلطة الرجل فقط وقللت من دور المرأة في الحياة الاجتماعية (محمد معتصم،2004، ص 07) فإن هذا المقال يحاول تبيان أنه مهما كان التمييز بين الرجل والمرأة فإنهما في مجال الصلاح والولاية متساويان قد يصلان إلى القطبية أعلى مراتب الولاية (رحال بوبريك، 2008، ص114).

كما يسعى هذا المقال للكشف عن شخصية دينية نسوية استطاعت بورعها وزهدها وصلاحها من الارتقاء إلى مرتبة الوليات، وتتمثل في شخصية الولية لالة صفية التي اكتسبت تنشئة اجتماعية ساهمت في تشكيل وصياغة نزوعها الديني و الصوفي وهي تنشئة دينية مستمدة من المحيط العائلي و الاجتماعي الذي تربت ترعرعت فيه.

يمكن إذن، تتبع مراحل التنشئة الدينية الصوفية من السيرة الذاتية للولية لالة صفية، على الرغم من أننا لا نملك معطيات دقيقة ومفصلة وشاملة تحيط بكل مراحل هذه التنشئة التي اكتسبتها هذه المرأة الصالحة طيلة فترات حياتها، ولكن يمكن أن نتصور ومن خلال قراءة أنتروبولوجية مراحل هذا النزوع الديني والصوفي الذي يتجلى بوضوح في طبيعة فضاء العائلة البوبكرية التي نشأت فيها، نعني بذلك وتحديدا الدور الكبير لأبيها سيدي سليمان، وزوجها سيدي عبد الرحمان وأخويها سيدي محمد وسيدي أحمد المجذوب في تكوينها الديني الصوفي.

1- زواج لالة صفية وعلاقة المصاهرة بين قبيلتي البوبكرية وأولاد نهار:

تعتبر المفاهيم والمصطلحات أدوات لإنتاج المعرفة، يتطلب منا توظيفها وبخاصة تلك التي تحمل دلالات أنتروبولوجية ذات قوة ومعان لذلك يكون من الأليق منهجيا قبل التطرق لقصة زواج لالة صفية بسيدي عبد الرحمان بمنطقة "صفيصيفة" بعين الصفراء ولاية النعامة حاليا وفي قبيلة البوبكرية أن نقدم تعريفا وجيزا لمصطلح "**لالة** " وانتشاره في مجتمعاتنا المغاربية، حيث نستشف هذا المصطلح في المغرب الإسلامي وخاصة في المغرب الأقصى والجزائر ويتخذ عدة تسميات لنساء عرفن بالصلاح، وتكاد تكون مشتركة في هاتين المنطقتين ومن بينها مفردة أو مصطلح " **لالا** " **أو**" **لالة**" وتعني المكانة التي تحتلها المرأة في المجتمع، وتتمثل في " **السيدة** "، ولفظ " **لالة** " عند كثير من الأنتروبولوجيين يعود إلى أصل بربري، وتسمى الوليات الصالحات بمنطقة القبائل ب " **لالة** " ويقابل استعمال هذا اللفظ في شمال إفريقيا أو المغرب الكبير لفظ آخر مثل " **لالة ستي** "، فإذا كانت التسمية الأولى بربرية فالثانية قد تكون عربية.كما نجد أنفسنا أمام

مصطلح آخر يتردد كثيرا ويتمثل في كلمة " **سيدي** " ويشير عادة إلى الولي و يشمل كل شخص نقدره ونحترمه أو كل شخص يحمل إسم " **محمد** " وتختزل كلمة "**سيدي** " في لفظ " **سي**" وتعني فئة الفقهاء وحفظة القرآن.(إدموند دوتي،2014، ص 59 – ص62).

تبرز هذه المصطلحات الأنتروبولوجية :" لالة " "وسيدي " و" سي" التي تستعمل بكثرة في المغرب الإسلامي للدلالة على المكانة الاجتماعية التي يحتلها الأفراد في المجتمع، والتراتب الاجتماعي الذي يتجلى في موقع الفرد في السلم الاجتماعي، والنفوذ وممارسة السلطة، وهذا يدل على شكل معين من علاقات الهيمنة الرمزية بين الفئات الاجتماعية ومختلف الفاعلين في الحقل الديني . تقوم هذه المجتمعات التقليدية القبلية على سلطة المالك للرأسمال الرمزي الديني، فالثروة الرمزية متمثلة في التعليم الديني أساسا يساهم في إعادة إنتاج الانتماء القبلي والسلطة الرمزية المستمدة من الدين ومن أعراف القبيلة وتكرس التمايز الاجتماعي، وتتمثل وظيفة هذه الثروة الرمزية في تحديد المكانة الاجتماعية التي يحتلها الفرد وفي السلطة التي يمارسها.

تنتمي الولية لالة صفية لقبيلة أحلاف " **تيوت**" بمنطقة عين الصفراء بولاية النعامة، ولدت سنة 1510م وهي بنت سيدي سليمان بن بوسماحة من قبيلة البوبكرية والجد الجامع لقبائل الزوى، والبوبكرية قبيلة تنتسب للخليفة الأول أبي بكر الصديق، وانتقلت بعض عائلات هذه القبيلة في فترات تاريخية من تونس إلى الجنوب الغربي الجزائري، وكان يقود هذه المجموعات من العائلات الجد البوبكري الصديقي سيدي معمر أبي العالية، وتظم عدة جماعات إتنية وأعراش أهمها: أولاد سيد الشيخ وأولاد سيدي أحمد الجذوب، وأولاد سيدي التاج والغياثرة وأولادنهار الذين تربطهم علاقة مصاهرة بالبوبكرية تمثلت في زواج لالة صفية من سيدي عبد الرحمان من سلالة إدريسية شريفة والذي ينحدر من زيد الملقب ب" **نهار**" بن محمد بن أبي العطاء الذي يعتبر نواة تأسيس قبيلة أولاد نهار:" **لفظ البوبكرية تسمية تشير إلى مجموعة اثنية تتمركز بقوة في الجنوب الغربي الجزائري تنحدر منها عدة أعراش مباشرة : أولاد سيد الشيخ ، أولاد سيدي أحمد المجذوب ، أولاد سيد التاج ، وجانبيا الفروع الموازية ، فرع من الغياثرة ومن جانب الأمومة أولاد نهار . ينحدر البوبكرية عن أول خليفة في الإسلام ، أبو بكر الصديق عربي من مكة يدعى أصلا عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم أو تميم بن مرة بن كعب .. حيث أن نسبه ونسب الرسول يلتقيان في الأصل الثامن مرة بن كعب. أبو بكر الصديق مسلم ورع وكثير من الطرق الصوفية تحمل اسمه ومن**

بينها طريقة الصديقية المعروفة في الشرق الأوسط وطرق النقشبندية في إيران ."(خليفة بن عمارة، 2002، ص4)

تزوجت لالة صفية من سيدي عبد الرحمان وهي الشخصية التي يرتبط نسبها بقبيلة أولاد نهار، ومن بين أهم شروط وأعراف الزواج عند البوبكريين الانتماء للقبيلة والنسب الشريف وهي القيم والعادات والتقاليد التي حافظت عليها هذه القبيلة منذ نشأتها وتطورها.كان سيدي عبد الرحمان تلميذا عند أبيها سيدي سليمان البوبكري الصديقي في منطقة "فجيج" أو "بني ونيف" يعلم القرآن للأطفال البوبكريين، و رجلا تقيا عرف بصلاحه وورعه وحسن سيرته ، وأعجب في فترة تدريسه لهؤلاء الصبيان بلالة صفية، حيث طلب من أبيها سيدي سليمان أن يزوجها له فوافق على طلبه شريطة أن يحضر له وثيقة تثبت نسبه الشريف . اتجه سيدي عبد الرحمان إلى مسقط رأسه بصفيصيفة لإحضار وثيقة إثبات نسبه الشريف التي كان يحتفظ بها أباه سي موسى ويتمثل: " **هذا النوع من الوثائق المستعملة من قبل الشرفاء منذ ملاحقتهم الرهيبة في القرن 10، الرابع الهجري تمثل نسابيات مسجلة على دعامة صلبة : ورق مقوى ، مخطوط سبط أو جلد معالج محفوظة عموما في قطع القصب ومحققة لتوالي تسجيل حلقات السلسلة بأختام الفقهاء، القضاة ورؤساء الزوايا وحتى الحكام**."(خليفة بن عمارة، 2002، ص94)

هذه الشهادة وثيقة ثبتت شجرة نسب سيدي عبد الرحمان الذي ينتمي لقبيلة أولاد نهار فهو ينتمي إلى البيت النبوي من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله وينحدر من سلالة الأدارسة التي أسست مدينة فاس بالمغرب الأقصى ، فهو عبد الرحمان بن موسى بن ابراهيم بن ابراهيم بن محمد بن زيد بن محمد بن العطاء بن زيان بن عبد الملك بن عيسى بن أحمد بن محمد بن علي بن أبي القاسم بن عبد المالك بن عيسى الراضي بن موسى المرتضى بن جعفر الصادق بن محمد الناطق بن علي بن زين العابدين بن عبد الله بن حمزة بن أحمد بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسين المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والسيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله.(الجيلاني بن عبد الحكم، 1952، ص 26)

تزوج سيدي عبد الرحمان من لالة صفية حوالي سنة 1527م ، وبهذا الزواج تشكلت علاقة المصاهرة بين قبيلة أولاد نهار وقبيلة البوبكرية.كان سيدي عبد الرحمان رجلا فقيرا يقتات مما يقدم له من مال أو ما يسد حاجاته المادية من طعام وشراب وكساء ومبيت مقابل تعليم القرآن لصبيان عائلات قبيلة البوبكرية

التي تنتمي إليها زوجته لالة صفية، ولكن ما يثير انتباه الباحث الأنثروبولوجي هي قصة زواج أبيها سيدي سليمان البوبكري، حيث إنه إذا سلمنا بأن نظام الزواج عند البوبكريين يقوم فقط على الزواج الداخلي أو من عائلات شريفة ، فكيف ولماذا تزوج سي سليمان من امرأة تنتمي لأحلاف تيوت وهي ليست بقبائل شريفة ؟ وعلى هذا الأساس يتضح أن بين قبيلة البوبكرية وأحلاف تيوت رابطة دموية قائمة أيضا على المصاهرة .

كان سي سليمان يعتني ويهتم كثيرا بصهره سيدي عبد الرحمان حيث منحه قطيعا من الغنم بمنطقة صفيصيفة أو في ضواحي الشلالة لتلبية حاجاتهما المادية :"... **وزوجته تلك الدرة النفيسة وأعطاه خباء كاملا بأثاثه وأعطاه بعض المواشي فزفت له تلك الجوهرة الجلية والشجرة الطيبة التي تفرع منها غصون مثمرة ولم تخالف تلك الفروع أصولها.**"(الجلاني بن الحكم، 1952، ص 28).أنجبت لالة صفية سي يحي الإبن الأكبر ب "**صفيصيفة**" في **أكتوبر 1528** م وهو الذي سيصبح لاحقا الجد الجامع لقبيلة أولاد نهار، وفي عام **1530** م أنجبت لاحقا طفلين هما : أحمد وموسى، سنة 1537 تقريبا، وبعد بضع سنين توفي سيدي عبد الرحمان ودفن بمنطقة " تيوت " وترك الأبناء الثلاثة صغارا في بيت أمهم لالة صفية وجدهم لأمهم سيدي سليمان بن أبي سماحة وخالهم سيدي محمد وسيدي أحمد المجدوب.(الجيلاني بن الحكم، 1952، ص 28)

توفي سيدي عبد الرحمان عام **1537** م تقريبا بمنطقة تيوت ودفن بها بعين الصفراء ولاية النعامة حاليا، وقد ترك أرملة صغيرة في السن لم تتجاوز ثلاثين سنة من عمرها و كان إبنها البكر سيدي يحي قد بلغ من العمر عشرة سنوات تقريبا في فضاء قبيلة البوبكرية . تكفلت الأم لالة صفية بتربية أبنائها الثلاثة الصغار وكان يحي أكبرهم سنا، كما ساهم جدهم سي سليمان وأخوالهم سي أحمد المجذوب وسي محمد في تربيتهم وتعليمهم، يمكن القول إذن، إن لالة صفية وأبناءها عاشوا وترعرعوا في القبيلة البوبكرية التي تمركزت في منطقة صفيصيفة بمنطقة الجنوب الغربي من التراب الوطني.

كانت لالة صفية متعلمة ومتدينة انشغلت بالعبادة وبتربية أبنائها الصغار، وظلت وفية لزوجها عبد الرحمان فقد كانت تزور قبره بانتظام بمنطقة تيوت، هذه الصفات المتميزة منها التعليم الديني وممارسة طقوسها الدينية التي توفرت في شخصية هذه المرأة إلى جانب أنها ابنة شيخ قبيلة البوبكرية سيدي سليمان قد أسست لها مكانة رمزية خاصة بها عند أحلاف تيوت متمثلة في قيم الاحترام والوقار ليس فقط بهذه المنطقة مسقط

رأسها بل أيضا فإن هذه المكانة حظت بها بمنطقة صفيصيفة المجال الجغرافي الذي يضم سلالة أولاد نهار وسلالة البوبكريين.

هذه المكانة الرمزية جعلت من لالة صفية المرأة الوقورة تمارس سلطة روحية فيما بعد فقد أصبحت من العابدات المالكات للبركات التي لا يمتلكها إلا أشخاص متميزون يكونون عادة من شيوخ الزوايا وأبناؤهم وأحفادهم ومن رجال الصوفية .. وقد بين كثير من الباحثين في مجال الأنتروبولوجيا أن هذه البركات يرثها الأبناء والأحفاد عن الأجداد والآباء، وإذا كان الرجل يورث بركته فإن المرأة تنقل بركتها لعقبها.(رحال بوبريك،2008 ، ص 151)

لقد فرضت هذه المكانة الرمزية والروحية التي امتلكتها لالة صفية سلطتها على سكان صفيصيفة وتيوت وأقاربها وأخويها سيدي عبد الرحمان المجذوب وسيدي محمد بأن يكنى سيدي يحي بإبن صفية فصار الناس ينادونه إلى يومنا هذا بسيدي يحي ابن صفية بدلا من سيدي يحي ابن سيدي عبد الرحمان الذي تركه صغيرا يتيما:" .. **ثم إن أولاد سيدي عبد الرحمان بن موسى وهم سيدي يحي وسيدي أحمد وسيدي موسى كانوا بعد موت أبيهم سيدي عبد الرحمان لا يدعوهم أخوالهم وأبناء أخوالهم إلا بأولاد صفية ولا ينسبونهم إلا إليها لعظم قدرها عندهم ولأنها هي من الصالحات القانتات وقد ظهر على يدها كرامات .. و لأن أباهم سيدي عبد الرحمان تركهم صغارا.. فلذلك اشتهرت نسبة سيدي يحي بأمه وصار الناس من ذلك العهد إلى الآن لا يذكرونه إلا بسيدي يحي بن صفية.**"(الجيلاني بن عبد الحكم، 1952، ص 29-30)

وفي الصحراء بمنطقة صفيصيفة بعين الصفراء توفيت لالة صفية حوالي 1585م ، وتسبب وفاتها في حدوث صراع مرير بين سكان تيوت وسكان صفيصيفة بمنطقة عين الصفراء حول مكان دفن جثمانها، حيث دفنت أول مرة بمنطقة صفيصيفة ثم نقلها أهل تيوت ليلا بعيدا عن أنضار سكان صفيصيفة إلى منطقتهم للتبرك بها . ولما شاع هذا الخبر عند أهل صفيصيفة جاءوا خفية وعادوا بها ودفنوها مرة ثانية، وقام أهل تيوت بنفس ما قاموا به سابقا مرة ثانية، وقد ترتب عن ذلك اندلاع حرب دامية بينهما(خليفة بن عمارة، 2002، ص9)، ولتوقيف هذا النزاع الدموي تنازل أهل صفيصيفة لأحلاف تيوت بدفن جثة لالة صفية بتيوت وعمد سكان صفيصيفة إلى تشييد ضريح لها بالمنطقة قائلين : " **صفيصيفة مبنية بلا لالة صفية.**".(خليفة بن عمارة،2002 ، ص 96).

شيد سكان تيوت قبة كبيرة لضريحها، وصار من بين أشهر الأضرحة التي يزورها الناس من منطقة تيوت وصفيصيفة ومناطق متعددة من الجنوب الغربي الجزائري للتبرك وطلب العلاج (ادموند دوتي، 2014، ص113) فتحول الضريح على غرار كل الأضرحة المنتشرة في المجتمعات العربية والإسلامية إلى مؤسسة دينية تمارس سلطة رمزية على الرغم من التحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تشهدها المنطقة، وبخاصة في مرحلة عرفت ثورة تكنولوجية هائلة تعددت وسائطها واختزلت العالم في قرية إلكترونية صغيرة . إن الولي يضل حاضرا ومستمرا ومقدسا والضريح هو امتداده الرمزي وفضاءه الروحي الذي يشع بالبركة في المعتقد الشعبي. (ادموند دوتي، بدون سنة، ص 300).

2– دور الأب والشيخ الصوفي سيدي سليمان الصديقي:

ترعرعت لالة صفية منذ صغرها في العائلة البوبكرية ، فكان أجدادها من ناحية أبيها من رجال الدين الذين بلغوا شهرة كبيرة في التعليم الديني منهم سيدي معمر الجد الأول للبوبكرية وإبنه سيدي بوسماحة. كما ساهم زوجها سيدي عبد الرحمان معلم القرآن قبل وفاته و أبوها سيدي سليمان في تعليمها وتكوينها وتوجيهها نحو التدين والتصوف في مرحلة لاحقة من حياتها، هذه الشخصية ساهمت أيضا في تشكيل وصياغة شخصية أبنائه سيدي محمد وسيدي أحمد المجذوب وحفيده سيدي يحي بن صفية، لقد تربت لالة صفية في فضاء ديني بامتياز وتلقت تنشئة اجتماعية دينية منذ صغرها ، واستمدت عناصرها وأساليبها من أسرتها وقبيلتها اللتين حافظتا على إرثها الثقافي والديني وتوارثته أجيال لاحقة من الأبناء والأحفاد وانتشر هذا الإرث بكل حمولته في تأسيس الزوايا ونشر التعليم الديني.

تبرز كثير من الدراسات أن سيدي سليمان أب لالة صفية قد درس عند شيخه المقري وسيدي محمد السهلي في الأندلس والمغرب الأقصى، وكان من بين المتفوقين عند هذين الشيخين وبخاصة أنه برع في علوم الحديث ، لقد استقر سيدي سليمان بناحية فقيق التي عرفت ازدهارا كبيرا في مجال علوم الدين مقارنة بمناطق أخرى، عرفت أيضا حركة التعليم الديني واللغة في منطقة عين الصفراء مثل الشلالة و الصفيصيفة:" **من الطبيعي أن نفكر بأن الشخص المفعم بالمعارف المكتسبة في أحسن مؤسسات الغرب الإسلامي، يكون قد عمل على تثمينها ونقلها إلى طلاب مدينة فقيق التي كانت أعظم قطب إقتصادي – الثاني بعد تلمسان في اتجاه الجنوب، لكنه بالخصوص أعظم تجمع وأكبر معقل فكري للناحية. مدارس القصور الجزائرية " الشلالة ، الصفيصيفة، ربا .. " لم تكن سوى مؤسسات ابتدائية أين يرتل القرآن مع تعلم**

بعض المقتطفات من النحو والصرف التي لا تقارن بمثيلاتها في فقيق. تمركز القصور المزدهرة والواحات المنتجة أفرزت كثافة سكانية عالية وبالتالي عددا ملائما من الطلبة المبتدئين."(خليفة بن عمارة، 2002، ص 54)

نالت شخصية سيدي سليمان شهرة كبيرة في منطقة فقيق حيث أشرف على جميع مؤسسات التعليم الديني في عصره، وكان قاضيا يفض النزاعات بين القبائل والأعراش، وكانت مصاهرته لعائلات شريفة أثرا كبيرا في تشكيل مكانته الاجتماعية والدينية والرمزية، فقد تزوج سيدي سليمان من امرأتين بمنطقة فقيق تنتميان لعائلتين شريفتين: الزوجة الأولى وهي عائشة بنت أحمد بن عبد الجبار وتنحدر من عائلة إدريسية عريقة أشتهرت بعلمائها أنجبت له سيدي أحمد المجذوب والزوجة الثانية هي المالحة أنجبت محمد.

لقد كان للتعليم الديني الذي مارسه في المغرب الأقصى، وفي منطقة فقيق أثر كبير ساهم في توجيه الرجل إلى التصوف خاصة أنه أظهر استعدادا وقابلية للولوج إلى هذا العالم العرفاني، ويعود الفضل أيضا لسيدي أحمد بن يوسف في تشكيل هذه الشخصية، فقد علم سيدي سليمان مبادئ الطريقة الشادلية التي انتشرت بشكل كبير في الجنوب الغربي من التراب الوطني:**" سي سليمان منذ ريعان شبابه، أبرز استعدادات ليس للدراسة فحسب لكن أيضا للتصوف ، الشيئ الذي يعني بأن لشخصيته، على الأقل، ميلا إلى الوحدة والتأمل. من المؤكد أن سي سليمان أحس بحاجة للعزلة لفترات لكنها تجارب شخصية لأنه لم يكن ينتسب إلى طريقة صوفية. ليست فترات العزلة هذه رغبات خاصة ولا تمارين معينة .. نراه يعيش حياة اجتماعية نشيطة يبيع ويشتري ويعاشر ثلاث مدن كبرى" ربا، شلالة، فجيج" يعقد مصاهرة مع الأدارسة المحافظين إلى أبعد حدود، يعطي دروسا ويلقي محاضرات في مؤسستهم وفي نفس الفترة يجد الوقت الكافي للتأمل والنشاطات الزهدية في أماكن منعزلة .. جاء سي أحمد بن يوسف إلى الجنوب الغربي. وقد أصاب عندما ضم إليه سي سليمان الذي كان يتوفر على الشروط ليكون زعيم الحركة المرابطية على المستوى الجهوي. ملك الرجل عدة مزايا: الأصل المتميز ، الثقل الاقتصادي وعدة تحالفات للقبيلة، كفاءة في الميدان الديني، هالة الطالب الذي زار الأندلس ، استعداد فطري للممارسات الصوفية، التفتح والاعتدال اللذان سمحا له بكسب احترام الأغلبية من سكان الجنوب الغربي.**"(خليفة بن عمارة، 2002، ص57 – ص67)

توفي سيدي سليمان حوالي 1539م ودفن بمنطقة " بني ونيف " ويعتبر ضريحه من بين أشهر الأضرحة التي يزورها الناس للتبرك والعلاج من مختلف الأمراض النفسية والعضوية المستعصية، وروت عنه الحكايات الشعبية كثيرا من البركات منها : تدحرج الصخور إلى قدميه وانفجار مياه العيون وحروبه مع الجن وتنقله بين أماكن بعيدة في وقت واحد ...

3 – لالة صفية و الأخوان سيدي محمد وسيدي أحمد المجذوب:

ساهمت شخصية سيدي محمد وسيدي أحمد المجذوب في صياغة وتشكيل شخصية لالة صفية وابنها يحيى وفي نزوعهما وميلهما إلى التدين الصوفي لقد تتلمذ سيدي محمد على يد أبيه سيدي سليمان وأخذ علوم الدين عن شيخه الإدريسي عبد الجبار من فقيق، كرس حياته للتعليم ، كان رجلا ورعا تقيا ومتواضعا وكريما، اكتسب هذه الصفات من أجداده الأوائل وقد أنشأ زاوية للتعليم الديني وإيواء الطلبة المحرومين واليتامى وتسوية النزاعات والخلافات بين القبائل . يعتبر سيدي محمد وإبنه عبد القادر الملقب بسيد الشيخ فرعا بوبكريا تنحدر منه سلالة أولاد سيد الشيخ . يوجد ضريحه ب "الشلالة" وتعتبر قبته من أجمل القباب بالجنوب الغربي والأكثر شهرة يتوافد عليه الناس بكثرة احتل إسمه مكانة كبيرة وحظي باحترام سكان منطقته الذين أطلقوا عليه اسم "بن نعمان"(خليفة بن عمارة، 2002، ص13)

تربى سيدي أحمد المجذوب وسيدي محمد في وسط عائلتين شريفتين ساهمتا في تكوين شخصيتهما وإعدادهما للبحث في علوم الدين ومن ثمة النزوع إلى التصوف: " **مثل أخيه، فإن أحمد بوبكري من أبيه وشريف إدريسي ينحدر عن الرسول (ص) من أمه . السلالة الأولى تشمل رجال دين مشاهير كأبي بكر الصديق، سي معمر، سي بوسماحة ،... السلالة الثانية أساتذة معروفون : عبد الجبار، البرزوزي .. نتاج هاتين الثقافتين الصارمتين، ولد أحمد بصريح العبارة في زخم ديني. عاش طفولته بين أبيه المتنقل للضرورة والمعلم عن موهبة، وجده من أمه الذي سيرت عائلته منذ بداية القرن 15 م مؤسسات دينية في فجيج وربما في الشلالة. لم يعرف الطفل فترة راحة فعلية** .. "(خليفة بن عمارة، 2002، ص99)

تلقى أخاه سيدي أحمد المجذوب في الشلالة وفقيق علوم الدين واللغة من نحو وفقه وحديث .. و تتلمذ على يد شيخه سي أحمد بن يوسف المليانى الذي أخذ عنه مبادئ التصوف والطريقة الشاذلية، وصار سيدي أحمد المجذوب من أتباعه ومريديه، كما كان لأبيه سي سليمان فضلا كبيرا في صياغة شخصيته الصوفية:"**في المجال الديني، فإن سي أحمد المجذوب كان نموذجا لمطبق التعاليم الصوفية. عاش كلية**

وبصورة صارمة تجربته منذ الفترة التي ، وهو في حماسة المراهقة، تعرف فيها على مبادئ التصوف حتى آخر عمره، كان عدوا لأنصاف الحلول والتسوية" التذبذب " فأخذ المعنى الحر للتعليم الباطني فكان الرجل الذي أراد أن يعيش التصوف عوض أن يسعى إلى نشر أسسه . إنه الشخصية الدينية الوحيدة في الجنوب الغربي التي حظيت، بالإضافة إلى اللقب العام، كالولي، الصالح، أوالشيخ، بلقب خاص " المجذوب " وهو يدل على حالة نوعية للتصوف. امتثل كلية لتعاليم الشيوخ القدامى في علم الباطن بالعمل في البداية على تطبيق نذر الفقر الذي يمثل المبدأ والقاعدة التي يرتكز عليها سمو الصوفي المريد "(خليفة بن عمارة،2002، ص4)

ترملت لالة صفية في سن مبكرة دامت أربعين سنة وعاشت بقية حياتها في طفولتها وشبابها في بيت أبيها سيدي سليمان مواظبة ومحافظة على أداء واجباتها الدينية وطقوسها وتقوم الليالي للتعبد وحفظ القرآن الكريم وممارسة تمارين في الجذب، وتتلقن طرائق حفظ الورد والذكر التي تستجيب للطريقة الشاذلية. لقد عاشت في وسط ديني محافظ وتميزت بالورع والتقوى واهتمت بتربية أبنائها الثلاثة،كما تميزت بحرصها الشديد على صلة الرحم حيث كانت تزور أهلها بمنطقة تيوت ثم صفيصيفة وحظيت باحترام كبير من قبل سكانها .يمكن القول إن لالة صفية و- بعبارة عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو- قد اكتسبت نوعا من الرأسمال الثقافي الموروث و المتناقل عبر الأسرة عن طريق التنشئة الاجتماعية فكان لأبيها سيدي سليمان وأخويها سيدي محمد وسيدي أحمد المجذوب الدور الكبير في تكوينها الديني الصوفي.(عبد الغني عماد، 2008، ص 177)

4- لالة صفية: نزاعات عائلية وكرامات صوفية:

وقعت عدة حوادث بين لالة صفية وأخويها سيدي محمد وسيدي أحمد المجذوب وترتبط كلها بأبنائها الثلاثة وامتعاضها من التصرفات القاسية من حين لآخر لأخويها تجاه أبنائها، حيث دفعت هذه المعاملات القاسية بالأم لالة صفية لهجر إخوتها تعبيرا عن رفضها واستيائها منهما، وتتمثل بعض هذه الحوادث التي يتحدث عنها كثير من الأفراد المنتمين لقبيلة أولاد نهار، وبعض الكتب النادرة التي تطرقت لهذه القبيلة وتلتقي كلها في أن كثير من الناس أفراد وجماعات كانوا يتوافدون سواء قبل وفاة سيدي سليمان بن أبي سماحة أو بعد وفاته على أبنائه سيدي محمد وسيدي أحمد لمجدوب بقبيلة البوبكرية. وكان هؤلاء الناس الوافدون يمضون أوقاتهم في الصيد، ولما ابتعدوا عن المكان الذي كانت تستقر به القبيلة وقد حان وقت

مغيب الشمس طلب منهم سيدي يحيى ابن صفية الرجوع إلى مكانهم بالقبيلة أو بالقرب منها، وعند عودة وجهاء وأعيان القبيلة وجدوا الوافدين قد نصبوا خيامهم وتبين لهم أن سيدي يحيى قد أمرهم بذلك فامتعضوا من هذا السلوك الذي صدر منه وهو طفل صغير وأن الأوامر والتكفل بشؤون القبيلة وضيوفها لا تكون إلا بقرار من أعيان ووجهاء القبيلة:" **فذهب بهم الاصطياد بعيدا عن الأضعان إلى أن كادت الشمس تغرب ولم يتجاسر أحد أن يأمرهم بالنزول أي المتخلفين عن طلب الصيد من السائرين مع الرحيل فلما رأى سيدنا يحيى بن صفية ما لحق الأضعان من المشقة أمرهم بالنزول فامتثلوا أمره ولما رجع أصحاب الأمر والنهي وجدوا الحي نازلا وضاربا خيامه فسألوا عن الذي نزلوا بأمره فأخبروهم أن الذي أمرهم بالنزول هو سيدي يحيى بن صفية وحيث كان أصغر منهم امتعضوا له وأغاضهم وقالوا لا نرضى به أن يدخل في رأينا وهو صغير**."(الجلاني بن عبد الحكم، 1952، ص 31)

كان لهذه الحادثة وقع كبير وأثر بالغ على نفسية الأم لالة صفية وعلى أبنائها الثلاثة:سيدي يحيى وسيدي موسى وسيدي أحمد حيث ولد نوعا من الاغتراب لديهم فالأم أرملة والأبناء لا زالوا صغارا وهذه المعاملة صدرت من عائلتها وبخاصة من أخويها سيدي محمد و سيدي أحمد المجذوب. دفعت هذه الحادثة بلالة صفية وأبناءها الثلاثة إلى هجر قبيلتهم فأمرت أبناءها وعبيدها بالرحيل ليلا دون علم إخوتها وأقربائها من القبيلة بذلك ، ولما حان وقت الرحيل وضع العبيد الأمتعة على ظهور الإبل، ومن بين الأساطير التي نسجت عن هذه الرحلة وهي أن لالة صفية قد أمرت الإبل بعدم إحداث الأصوات حتى لا يكتشف أمرهم فاستجابت الإبل إلى ذلك:"**فقالت لهم والدتهم السيدة صفية مروا العبيد أن يأتوا بالإبل عند مجيء الليل لنرحل من بلادهم إلى بلد بعيدة وأرض الله واسعة فلما أقبل الليل وأدبر النهار قدم العبيد بالإبل فحملوا متاعهم ورحلوا ليلا في غفلة منهم خوفا أن يشعروا بهم ويعزموا عليهم في المقام عندهم بعد أن جاءت تلك السيدة إلى الإبل وقالت لها: يا إبل أسكتي ولا يكن منك رغاء بإذن الله فكانت كما قالت لم يسمع لها صوت ولا حس** .. "(الجلاني بن عبد الحكم، 1952، ص 31)

استيقظ أولاد سيدي سليمان بن أبي سماحة باكرا وتبين لهم أن أختهم وأبناءها الثلاثة قد غادروا المكان، وأدركوا سبب ذلك وذهبوا للبحث عنها، ولما لحقوا بها طلبت من أبنائها الاختباء، وتروي بعض الأساطير أنها أمرت الإبل بعدم النهوض إلا بأمرها، فترجى الأخوان أختهما بالرجوع معهما والالتحاق بالقبيلة وقد ألحا على ذلك إلحاحا شديدا، وأمام هذا الإلحاح طلبت لالة صفية من إخوتها إنهاض الإبل

ولكنهما عجزا عن ذلك، وأمام غرابة هذا الموقف والمشهد ترك الأخوان أختهما وأبناءها الثلاثة، ولما ابتعدا أمرت صفية الإبل بالنهوض فنهضت وهكذا تكلمت لالة صفية مع إبلها وأمرتها فأطاعتها.(الجيلاني بن عبد الحكم، 1952، ص 31- ص 32)

إن ما قامت به لالة صفية حين أمرت الإبل بطاعة أوامرها، والاستجابة لها يبين أنه كانت لهذه المرأة المتميزة عند أهلها بمنطقة تيوت وصفيصيفة وعند قبيلة أولاد نهار ما يسمى في الفكر الصوفي ب " الكرامة " التي تستمد حضورها من الدين ومن ممارسة الشخص المتصوف أو المتدين لطقوسه وقواعده وشروطه ف:" **من الثابت أن الكرامات تستمد جذورها من الدين، ولا سيما من المعجزات، ثم من ممارسته. لكن الأصح أيضا أنها نبتت وتنبت إلى جانبه، وكانت أقرب إلى المزاعم الشعبية منها إلى المعتقد الديني.**"(علي زيعور، 1984، ص 25)

وما نلاحظه أيضا في هذه القصة حضور الحيوان ويتمثل في الإبل ويذهب الكثير من الباحثين في مجال التصوف أن الحيوان من الشخصيات الأساسية في الكرامة يقول علي زيغور:"**بيد أن الطير خاصة، والحيوان عموما، من الشخصيات الأساسية في الكرامة تظهر عادة لمساعدة الصوفي من جهة، أو لتجسيد مراميه من جهة أخرى، أو لتمثيل رغباته المسقطة من جهة أخيرة.**"(علي زيعور، 1984، ص 25)

ونخلص من هذه القصة أن الكرامة الصوفية لا يمتلكها أو يكتسبها الرجال فقط، وإنما الكرامة تمنح أيضا لنساء متميزات لهن مكانتهن الاجتماعية والدينية والثقافية في القبيلة أو المجتمع، حيث يعتقد كثير من الباحثين الأنتروبولوجيين أن الولاية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالكرامة وتمنح للولي شرعيته الدينية والروحية وسلطته الرمزية.(عبد الرحيم العطري، 2014، ص37)

ساهمت هذه الأحداث بتحولاتها المتسارعة في انفصال أولاد نهار عن قبيلة البوبكرية ولكنه يبقى مجرد انفصال اثني للتمييز بين قبيلة أولاد نهار وقبيلة البوبكرية ذلك أن القبيلتين لا زالتا مرتبطتين على المستوى السوسيو – ثقافي بنسب قرابي يقوم على رابطة الدم و المصاهرة والتضامن الاجتماعي الذي يتم بينهما في الاحتفالية والمشاركة في وعدة سيدي يحيى بن صفية وهي وعدة أولاد نهار بمنطقة سبدو، و وعدة عسلة وهي وعدة البوبكريين أو وعدة المجادبة نسبة لسيدي محمد المجذوب ابن سيدي سليمان بن أبي سماحة وأخ لالة صفية بمنطقة مشرية بولاية النعامة حايا.

لكن هذه الأحداث المتسارعة لا تعبر فقط عن ردة فعل إمرأة تجاه أخويها ولتصرفاتهما فقط، وإنما تعبر أيضا عن أحقيتها في ممارسة السلطة الدينية وبناء مكانتها الرمزية والاجتماعية وتكون بذلك قد كسرت تلك العلاقة بين الرجل والمرأة القائمة على النظام الأبوي والهيمنة الذكورية في ممارسة السلطة الدينية والاجتماعية والسياسية التي كرستها طبيعة التنشئة الاجتماعية السائدة في المجتمعات التقليدية القبلية.

5– لالة صفية: الذرية وامتداداتها التاريخية والروحية

تشمل ذرية لالة صفية أبناءها الثلاثة سيدي يحي وسيدي أحمد وسيدي موسى وأحفادهم، ولكن الذرية التي ذاع صيتها وشهرتها في منطقة الجنوب الغربي الجزائري تلك المرتبطة بالولي سيدي يحي ابن صفية رمز قبيلة أولاد نهار والجد الذي يعطي لبطون وأفخاذ وعشائر وعائلات هذه القبيلة هويتها وأصولها السوسيو – تاريخية والثقافية.

وفي هذا الاتجاه نجد أنفسنا أمام مسألة تتطلب توضيحا متمثلة في أن لالة صفية قد انفصلت عن أخويها واستعادت سلطتها الروحية والرمزية ولكن هذه السلطة انتقلت إلى إبنها سيدي يحي ، وهذا يدل على أن هذه المرأة قد تنازلت عنها استجابة لمجتمع قبلي ينتمي لمرجعية ثقافية تقليدية لا يحق فيها للمرأة أن تكون مرجعية دينية لأي سلالة أو قبيلة .

حظي هذا الولي بمكانة رمزية تحولت وفي فترات تاريخية متعاقبة إلى درجة تقديسه، وقد تجلت في كثير من الممارسات الاجتماعية والثقافية التي يقوم بها المنتمون من أفراد وجماعات من هذه القبيلة منها: زيارته لتلبية حاجات مختلفة كالعلاج، الإنجاب، التبرك به بأخذ التراب من قبره، وأخذ قطع قماش أخضر، وعادة ما تمنح من خادمه الذي يسمى ب: "المقدم" الذي يمنح له الزائرون قبل مغادرة ضريح الولي مبلغا ماليا رمزيا، وتكثر زيارته عندما يرى الزائر هذا الولي في المنام أو يكتفي الفرد بإخراج صدقة تتمثل في شراء الحلوى وتوزيعها صباحا يوم الجمعة قبل أداء صلاة الجمعة ترحما على الولي وتقربا من الله. هذه مجموعة فقط من الممارسات المرتبطة برمزية الولي وحضوره في المخيال الفردي والجماعي لأفراد قبيلة أولاد نهار.

ولد سيدي يحي ابن صفية بمنطقة صفيصيفة بعين الصفراء ولاية النعامة حاليا بالجنوب الغربي الجزائري في أكتوبر **1528** عند بعض المؤرخين وسنة **1529**، عند البعض الآخر، وينتسب حسب شجرة النسب إلى البيت النبوي من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطة الزهراء بنت رسول الله (ص) وينحدر أيضا من سلالة الأدارسة التي أسست مدينة فاس بالمغرب الأقصى.

لما انفصلت لالة صفية وأبناءها الثلاثة سيدي يحيى وسيدي موسى وسيدي أحمد عن أخوالهم سيدي محمد وسيدي أحمد المجذوب ولم يتمكن الأخوان من استرجاع أختهما لالة صفية، استقرت هذه العائلة بعد رحلة شاقة وطويلة بمنطقة قاحلة وخالية من السكان كان يسكنها من قبل مجيء هذه العائلة قبيلة بني حبيب وهي قبيلة بربرية تركت المكان وتروي القصص الشعبية أن بني حبيب كانوا قوما فاسدين حل بهم غضب من الله فأصابهم القحط والجفاف، فهاجروا إلى أماكن أخرى تتوفر فيها عناصر الحياة والاستقرار :" **ثم ارتحلوا يقطعون الفيافي يجدون السير إلى أن وصلوا إلى بلدة خالية من السكان في ذلك العهد ولما أراد الله أن يحيي تلك الأرض الميتة نزلوا بها وحطوا رحالهم في الأرض وجعلت مسقطا لرؤوسهم ورؤوس ذريتهم ومسكنا لهم .. قيل وقد سكن هاته البلد قوم من البرابر يقال لهم بنو حبيب ولما عاثوا فيها سلط الله عليهم القحط فيها فذهبوا منها وارتحلوا عنها وتركوها خالية وذلك قبل مجيئ سيدنا يحيى بن صفية وأخويه بمدة** ."(الجلاني بن عبد الحكم، 1952، ص 32)

وفي هذا المكان المهجور الذي تحول إلى أرض خصبة بمجيء سيدي يحيى ووالدته لالة صفية وأخويه سيدي موسى وسيدي أحمد بدأ يقصده عدد كبير من مشايخة الدين يلقنون المريدين مبادئ الدين الإسلامي من حفظ القرآن والحديث والتفسير وتعليم اللغة العربية، وكان من بين هؤلاء المشايخة الذين حلوا بهذا المكان الشيخ محمد بن عبد الرحمان السهلي الذي يرتبط اسمه بزاوية السهلي التي تقع بالقرب من قرية أبي ذنيب أو بوذنيب شرق الرشيدية بالمغرب الأقصى فقد كان عالما ورعا ومن الصلحاء الكبار وتتلمذ عليه نخبة من المريدين منهم: الشيخ عبد الكريم المغيلي، والشيخ سليمان بن سماحة دفين بني ونيف.(الجلاني بن عبد الحكم، 1952، ص 33)

ولما أنهى سيدي يحيى تعليمه الديني تيقن شيخه محمد بن عبد الرحمان السهلي من تمكنه وقدرته على تعليم المريدين مبادئ الدين الإسلامي، حيث عاد إلى بلدته ليستقر بجانب أمه وأخويه فذاع صيته وازدادت شهرته والتف حوله الناس من مختلف المناطق وترتب عن تزايدهم تشكل قبيلة تنتقل معه إلى أي مكان يقصده أو يحل به، وكان أفراد هذه القبيلة يمارسون نشاط الرعي ويتجهون بماشيتهم في فصل الشتاء والصيف إلى ناحية الصحراء ثم يعودون إلى موطنهم الأصلي وصار الناس في هذه القبيلة يتزوجون ويتكاثرون. كان سيدي يحيى بن صفية لا يفرق ولا يميز بين أبناء الصلب وأبناء القلب، حيث يشكلان عنده بنية اجتماعية

قبلية متكاملة، وقد عبر عن هذه اللحمة والنسيج الاجتماعي القبلي:" **الدربالة (العباءة) دربالتي واللي يفتش فيها يعمى** ."(قول مأثور في منطقة أولاد نهار.)

6 – نماذج من كرامات سيدي يحيى:

تروي الحكايات الشعبية أن شخصية سيدي يحي ابن صفية قد اقترنت بمجموعة من الكرامات والبركات التي حظي بها لورعه وتقواه، وتقربه إلى الله حيث كان يحب الخلوة والانفراد في عبادة الله بمكان يسمى " العبادة " بالقرب من ضريحه، ومن بين أشهر كراماته أنه في ليلة من الليالي التي كان يتعبد فيها على رأس هضبة تسمى "الصيادة" اعتدت عليه جماعة من اللصوص، أرادوا ابتزازه وقتله فأمسك بقبضة من الحلفاء ونفخ فيها وألقى بها على الأرض، فأضرمت النار واحترقوا ولازال مكان الخلوة وأثر الحريق وبجانبه نبات خفيف يدل عل صدق هذه الكرامة الصوفية. (الجلاني بن عبد الحكم، 1952، ص41)، ومن كراماته أيضا والتي صارت من الحكايات الشائعة يتداولها أحفاد سيدي يحي بن صفية أنه اجتمع بأولاده في يوم من الأيام وكانوا اثنتي عشر، وخص كل واحد منهم بصفة تناسبه، وبين حالتهم المادية والاجتماعية من بعده فقال لهم: " **محمد كريمكم وكان أكبر أبنائه والجيلالي بركتكم، وعبد الرحمان قطبكم وأبوبكر فالكم، وعبد القادر هبيلكم، والشاذلي عنايتكم، وأبو طيبة في عاركم، ومحمد مؤذنكم وسكت عن الباقي.**" (قول مأثور في منطقة أولاد نهار.)

هذه الصفات التي ذكرها سيدي يحي وخص بها كل إبن من أبنائه تدل على أن ذريته تمسكت بنسق من القيم الرمزية منها : الكرم والبركة والتدين والشجاعة .. كما يبدو أن سيدي يحي قد منح لذريته هذه القيم ليؤسس لها مكانتها الرمزية وممارسة سلطتها على باقي القبائل الأخرى:" **إني لم أترك لكم أحدا تخافونه يعني تخضعون له أو يرتفع فوقكم إلا من بعضكم بعضا وإلا من أولاد شيخكم سيدي بن عبد الرحمان السهلي.**" (الجلاني بن عبد الحكم، 1952، ص42)

كان سيدي يحي ابن صفية شخصية دينية تعلم المريدين والمحبين المبادئ الإسلامية واستعمل أسلوب الوعظ والإرشاد وتنظيم حلقات الذكر، وأشتهر بكثرة الانفراد بنفسه للتقرب من الله بالعبادة والمناجاة والدعاء. كان يختلي بنفسه بمنطقة الصيادة والعبادة ببلدية سيدي الجيلالي بتلمسان، وكان شيخ قومه ورجلا عادلا ووجيها يفك الخلافات بين الناس وزاهدا في الحياة. كان يمثل السلطة الرمزية التي تستمد عناصر قوتها

وشرعيتها من تدينه أولا ومن نسبه الشريف الممتزج بآل البيت من خط أبيه سيدي عبد الرحمان ومن البوبكرية ثانيا وهي قبيلة تنتسب للخليفة الأول أبو بكر الصديق من خط أمه لالة صفية.

ظل سيدي يحي ابن صفية متمسكا بدينه وواعظا لمريديه وملتزما بالطريقة الصوفية الشاذلية التي تعلمها من شيخه سيدي عبد الرحمان السهلي، كان يؤمن بحرية اختيار المريدين للطريقة الصوفية التي يقتنعون بها وإن اختلفت في بعض الممارسات الطقوسية ما دامت تهدف كلها للتقرب من الله، ويعلم مبادئ الدين واللغة العربية للحفاظ على الهوية الثقافية والدينية للمريدين. توفي سيدي يحي ابن صفية سنة **1610** م ودفن بوادي "بوغدو" في جبل سيدي محمد السنوسي على بعد أربعة عشر ميلا من بلدية سبدو بتلمسان وعليه قبة عظيمة يزورها الناس للتبرك والعلاج وممارسة احتفالية وعدة سيدي يحي بن صفية في كل سنة لإعادة إنتاج القبيلة والحفاظ على ديمومتها.

خاتمة:

لقد مارست المرأة التدين وتحلت بمجموعة من المقومات الشخصية والاجتماعية منها الورع والتقوى والزهد والحفاظ على الشعائر والطقوس الدينية، وهي الوظيفة التي لا يمكن اختزالها عند الرجل فقط، فقد ارتقت بفضل هذه المقومات إلى عالم الصلاح والولاية. لقد سمحت لنا هذه الدراسة الأنتروبولوجية بإبراز طبيعة التنشئة الاجتماعية، وأهم مصادرها وعناصرها متمثلة في المحيط العائلي والاجتماعي والقبلي ومساهمتها مجتمعة في تشكيل الشخصية الدينية والرمزية والصوفية للولية لالة صفية.

وعلى الرغم من أن المصادر والمراجع التي بحثت في هذه الشخصية ضئيلة جدا ولا تكشف عن كثير من الأحداث والوقائع حتى أن الباحث يفقد أحيانا بعض الخيوط التي تمكنه من الربط بينها للاقتراب من الهدف المنشود، ولكن ذلك لا يمنع من أن يستعمل الباحث خياله السوسيولوجي والأنتروبولوجي المرتكز على التحليل والتفكيك والتركيب، وربما حتى الافتراض في مثل هذه الموضوعات يكون ممكنا ما دام العلم يقوم على ذلك، بل وإن الرغبة في البحث تدفع بالباحث للمغامرة العلمية التي تستمد مشروعيتها في نهاية المطاف من النقاش الجاد والتساؤلات الوجيهة.

قائمة المصادر والمراجع:

1- إدموند دوتي(2014) الصلحاء. مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر، ترجمة: محمد ناجي بن عمر، أفريقيا الشرق ، المغرب

2- إدموند دوتي(بدون سنة) السحر والدين في إفريقيا الشمالية، ترجمة: فريد الرزاهي، منشورات مرسم ، الرباط ، المغرب
3- إرنست غيلنر(2005) مجتمع مسلم، ترجمة، أبو بكر أحمد باقادر، ط1، دار المدار الإسلامي، فرنسا
4- بن عمارة، خليفة (2002) سيرة البوبكرية،ج1، أجداد أولاد سيدي الشيخ من سيدي معمر أبي العالية إلى أبناء سيدي سليمان بن بوسماحة : سيدي محمد لالة صفية وسيدي أحمد المجذوب، تر: محمد قندوسي، مكتبة جودي مسعود
5- خليفة بن عمارة(2002) سيرة البوبكرية، ج2، سيدي الشيخ شخصية خارقة للعادة، ترجمة بوداود عمير
6- الجلاني بن عبد الحكم(1952) المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحي بن صفية، مطبعة ابن خلدون، تلمسان
7- عبد الغني عماد(2008) سوسيولوجيا الثقافة . المفاهيم والإشكاليات ... من الحداثة إلى العولمة، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت
8- علي زيعور(1984) الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم .. دار الأندلس، ط1، بيروت
9- رحال بوبريك(2008) بركة النساء . الدين بصيغة المؤنث، إفريقيا شرق، المغرب
10- محمد معتصم(2004) المرأة والسرد، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء